

## حرب شارون على المخيمات

نهاد ابوغوش



دبابات الاحتلال تتمركز في مخيم طولكرم

فيشمان، اقترح استبدال اسم العملية من "حملة بالوان" الى "كازينو شارون"، لان الاخير، حسب رايه، يقامر بـمبالغ كبيرة. ويرى فيشمان ان المسافة بين مقامرة شارون هذه ومقامرته على كل ما يملك جد قصيرة، مقامرة لا يقدم عليها الا مقامر او "مسطول"، يريد ان يثبت للفلسطينيين انه قادر دائما على ضربهم وايقاع الاندى بهم.

المعلق الاسرائيلي روني شكيد لخص الموقف متسائلا: "ماذا بعد كل هذه العمليات؟". ويجيب بكل ثقة: "بلاطة سيبقي بلاطة". والثابت ان حملة شارون الدموية جعلت هدفه الرامي الى فرض الاستسلام الفلسطيني ابعد مثلا من ذي قبل، بل اقرب الى المستحيل. فالقاومة نجحت في اجتناب اعنف الضربات التي تعرضت لها، واكسبها ذلك مزيدا من الحوافز ودفعها الى مزيد من التطوير والابتكار. وصارت المقاومة والصمود خيارا لا بديل عنه، ولم تعد بيانات السلطة الرسمية تتردد في الجهر بهذا الخيار. ولا شك ان فشل السهم الاخير في جعبة شارون سيجعله يرتد الى نحر مطلقه. ولعل تراجعه بشأن "ايام الهدوء السبعة" وحصار الرئيس ياسر عرفات بداية التسليم بفشل خيار الحل العسكري وبداية الهزيمة لمشروع، شريطة ان تحسن القيادة الفلسطينية والقيادات العربية ادارة الجولة القادمة من المعركة واستثمارها سياسيا. ■

### خطاب شارون الدموي

### مواصلة للاستفراء بالشعب

### الفلسطيني ...

### وواشنطن تضغط لتقديم تنازلات

### عربية مسبقة لاسرائيل

صرح مصدر مسؤول في الجبهة الديمقراطية، يوم ٢٠/٢٢ الماضي، تعقيباً على خطاب اريئيل شارون، رئيس حكومة الاحتلال والبطش، بما يلي:

شارون يواصل سياسته الدموية، هذا ما أكد خطابه الى المجتمع الاسرائيلي والعرب والعالم، حيث يستمر في الاستفراء بشعبنا الاعزل دون ان يجسر اسرائيل في حرب اقليمية، وفق تعبيره. وشارون استهزئ بالمواقف العربية، وأكد ان زمام الامر في الشرق الاوسط بيد اسرائيل، وتجاهل العرب، دولاً وشعباً، بالكامل.

من جانبها، الادارة الاميركية صبت في طاحونة شارون، حيث صرح الناطق بلسان الخارجية الاميركية:

- ان على الدول العربية ان تبدأ بخطوات تطبيع عملية مع اسرائيل، دون ربطها بالانسحاب الاسرائيلي من الارض المحتلة.

- ان لا اشترط لعودة اسرائيل الى حدود ٤ حزيران/ يونيو ١٩٦٧، حيث ان الحدود تقدر بالمفاوضات.

وهذا الموقف الاميركي اصعب من الاستهتار بالقرارات الدولية، ويفتح الباب للتوسعية الاسرائيلية في القدس والضفة والقطاع والجولان.

كل ذلك يتصل، فلسطينياً وعربياً:

● اعادة بناء الوحدة الوطنية ومؤسسات منظمة التحرير ببرنامج وطني موحد، وتصويب مسار الانتفاضة والمقاومة، طريق الخلاص من الاحتلال والمستوطنين.

● القمة العربية في بيروت مدعوة لقرارات دعم الانتفاضة والمقاومة، ورفض تقديم التنازلات التي تدعو لها الآن الادارة الاميركية.

● والقمة مطالبة بالعودة الى النهوض بالامكانات العربية الكامنة والثامنة، لاستعادة عناصر الردع لعريدة شارون وضغوط واشنطن على القمة لتنازلات عربية مسبقة لاسرائيل. ■

المدنيين دحضتها العملية الاخيرة بتأكيد ان القوات الاسرائيلية لا يصيرها ابدا سقوط الضحايا المدنيين. فبين الشهداء، ثمة اطفال ونساء واطباء وممرضون وشيوخ وعابرو سبيل وضحايا دهمتهم القذائف وهم في منازلهم. وحسب احصائيات اوساط محابدة، فان بين ضحايا الانتفاضة حتى الآن أكثر من ٣٠٠ طفل وفتى دون السادسة عشرة من العمر. ثم اي كارثة شخصية، غير الموت، اقسى من تدمير منزل عائلة على ما فيه من متاع وحاجات لمجرد شق طريق امنة للجنود!!

### مغامرة مقامر... بدأ يشم

### رائحة الفشل

ليس في الذرائع والمبررات العسكرية ما يقنع احدا بجذوى عمليات المخيمات. يكفي ان تنطلق عملية فدائية واحدة لتنقض هذه الذرائع جميعا. وها هي عمليات القدس وتل ابيب وبنانيا ووادي الحرامية وعتمسونا تؤكد ذلك. والثابت ان البطش الاسرائيلي لا يقود الا الى تاجيح المقاومة وحفزها. ولذلك، فان البحث عن مبررات عمليات شارون الاخيرة ينبغي ان يتركز في ميدان خياراته السياسية.

ويات ثابتا ان هذا الحاكم لا يملك ولا يرى، ولا يريد ان يرى، اي افق سياسي لحل القضية، الا اذا كان هذا الحل هو اعلان الاستسلام الفلسطيني للقوة الاسرائيلية. وليس عبثا قيام بعض المصلحين العرب والاسرائيليين بالربط بين الحملة الاخيرة ومبادرة السلام السعودية، المرجح ان تتحول مشروعا للقمة العربية القادمة في بيروت. المحلل العسكري الاسرائيلي، اليكس

عن بكرة ابها. ولم يكن الجيش بحاجة اصلا الى عملية "الرحلة الملونة" ليحقق هذه النتيجة. فالدبابات التي تطوق المخيم منذ اشهر الانتفاضة الاولى، والطائرات الحربية، القادرة على تحقيق اصابة دقيقة حتى لو استهدفت نافذة في غرفة معينة في احد البنيات، كفيلة بتحقيق ذلك، بل وتحقيق الهدف الاسرائيلي العزيم: ان لا احد يمتنا عن عمليات الجيش الاسرائيلي، مع ان الطيران الحربي والدبابات والرشاشات والقوات الخاصة لم تدع اي مكان يمتنا عن عملياتها، ولم توفر قرية او مدينة الا وطولتها، قصفا وتدميرا واغتيالا واختطافا، حتى بلغ بها الامر كصف صالة استقبال الضيوف الخاصة بمقر الرئاسة وغرفة نوم حرس الرئيس وتدمير مقر الرئاسة في غزة تدميرا كاملا. ولم تكن مكاتب ممثل الامين العام للامم المتحدة، والبعثات الدبلوماسية، وقيادات الشرطة والاجهزة الامنية، بما من من القصف الاسرائيلي. اذن، لماذا اضطر الجيش الاسرائيلي الى هذه العملية المعقدة، وما رافقها من مخاطر وتعقيدات وردود فعل دولية ومحلية، لم تزل تتفاعل؟

التابع لتصريحات المسؤولين الاسرائيليين يدرك ان "لا صحة لوجود "معقل" محدد هنا او هناك للمنظمات الفدائية. وقد سبق السبب نفسه لتبرير عمليات اجتياح بيت حانون ورفع بيت ريمما وبيت جالا وبيت لحم وطمون ومديني جنين وطولكرم وغيرها، ليتبين، بعد كل اجتياح، ان الامور عادت الى سابق عهدها. ثم ان عناصر المقاومة هم "مواطنون" عاديون، في هذا المخيم كما في تلك القرية. واسلحتهم هي من البساطة والتواضع الى درجة تمكنهم من التحرك ونقل اسلحتهم من مكان الى آخر خلال دقائق معدودة. وهو ما اعترفت به قيادة الجيش الاسرائيلي بعد آخر اجتياح لبيت حانون، اذ تطلب حشد القوات وتدريبها على تنفيذ العملية ثلاثة ايام على الاقل، كانت اكثر من كافية لانسحاب "المطوبين".

ثم ان الانتقادات التي قد توجه للقصف العشوائي الذي قد يوقع ضحايا في صفوف

عن واجهة الصورة، وتركو امر تفسير العمليات لضباط الصف الثاني من قيادة الجيش، امثال العميد غرشون يتسحاق والعقيد افيف كوخافي، اللذين وجدا في المناسبة فرصة لنجومية قد تفيدهما بعد التقاعد. وراح الضابطان يسرفان في وصف العمليات والبطولات، الى درجة قال فيها كوخافي مياهما: "كنا نظن بلاطة اسدا، فاذا به قط". لكن الرد جاء في اليوم التالي، عبر عملية "وادي الحرامية" وسلسلة العمليات الموجهة التي تلقاها الجيش الاسرائيلي، ونالت من هيئته وغروره وثقة افراده، والمجتمع الاسرائيلي بشكل عام، بقدره الجيش الاسطوري. كما ان الصحافة الاسرائيلية فضحت اولئك الضباط وادعاءاتهم.

يقول المعلق الاسرائيلي روني شكيد، الخبير في الشؤون الامنية والعسكرية: "بعد يوم كامل من العمليات، نجحت القوات الاسرائيلية في التقدم مسافة ٤٠ الى ٥٠ مترا، ولكنها لم تلق القبض على اي مطلوب، ولم تعثر على اي مسدس او بندقيية كلاشينكوف او مصنع اعداد القنابل". كما ثبت ان ادعاءات الجيش الاسرائيلي حول "استسلام" المسلحين في طولكرم لم تكن سوى محض اكاذيب لتبرير الجرائم المروعة التي ارتكبها الجيش في المخيمات، بقتل المدنيين والاطفال وطواقم الاسعاف، وترك الجرحى يذرفون حتى الموت. فمعظم المسلحين تمكنوا من الانسحاب او ااصلوا القتال، وتبين ان اسرى الجيش الاسرائيلي هم، اما من المدنيين الذين راوحت اعمارهم بين الثالثة عشرة والستين، او من افراد الاجهزة الامنية الذين تحولهم الاتفاقات الموقعة مع اسرائيل حمل السلاح.

### لماذا اجتياح المخيمات...

### بينما سلاحهم وقذائفهم

### تصل كل مكان؟!

من الزاوية العسكرية المباشرة، ليس ثمة في العالم من يشك في قدرة الجيش الاسرائيلي على سحق المخيمات وتدميرها

ما الذي أنجزته الحملة العسكرية الاسرائيلية على المخيمات، سوى قتل العشرات وجرح المئات وتدمير المنازل، التي لا يستدعي تدميرها كل هذه الارتال المدرعة؟ قيادة الجيش الاسرائيلي ذاتها لم تكن متاكدة من اهداف العملية، الاوسع منذ بدء الانتفاضة، فضلا عن نتائجها. فهي قالت في البداية ان الهدف هو ضرب معقل "الارهاب" الفلسطيني والقبض على المطلوبين وجمع سلاح المنظمات الفدائية. ولكنها، بعد العملية، وحين تاكد ان معظم المطلوبين غادروا المخيمات قبل بدء العمليات، وان السلاح الذي ضبط لم يتعد بضعة قطع خفيفة ونخبرتها، و"مصانع" تحوي "مواسير" يمكن العثور عليها في اي محل لمواد البناء في العالم، تحولت هذه القيادة الى رواية جديدة عن هدف العمليات، وهي "افهام المنظمات الارهابية انه لا ملاذ لها وان اي موقع ليس يمتنا عن عمليات الجيش الاسرائيلي". وفي رد مباشر على منتقديها، اعتبرت قيادة الجيش الاسرائيلي عملياتها في بلاطة من انجح العمليات التي قامت بها خلال الانتفاضة!

### شبح صبرا

### وشاتيلا...وعوامل تكرار

### المشهد "الشاروني"

فور دخول قوات شارون مخيمي بلاطة وجنين، وبعدهما مخيمات طولكرم ونور شمس والديهشة، استدعى العالم على الفور الصورة التي لم تغب عن مخيلته ابدا: صبرا وشاتيلا. ولعل صورة المجزرة هي الاكثر التصاقا بشخصية اريئيل شارون وتاريخه السياسي والعسكري الطويل، حتى ان العديد من الاسرائيليين حذروا من التجربة التي تفرض نفسها، لوجود نفس عناصر المعادلة: شارون، والمخيمات، وشهوة الانتقام، التي تغذيها النزعة العسكرية للحكومة وغياب اي تصور لحل سياسي. والنتيجة الطبيعية لتفاعل هذه العناصر هي المنجبة. لكن شارون وكبار قاده تواروا عامدين

### حركة رافضي الخدمة في الجيش الاسرائيلي

### تزداد اتساعا وتماسكا

نجح الضباط والجنود الاسرائيليون للخدمة العسكرية في الراضي الفلسطينية في اخراج حركتهم الى العلن، فنظمو تظاهرات، الاولى في مطلع آذار/ مارس الجاري، وشارك بها ١٥٠ منهم امام سجن رقم ٤ التابع لقاعدة "تسريغيم" العسكرية، والثانية في التاسع من آذار بمشاركة اكثر من ٤٠٠ ضابط وجندي واصدقائهم، وجرت امام سجن عنيت قرب حيفا. وجاء ذلك بعد حكم عسكري على ثلاثة من زملائهم بالسجن لثمانية وعشرين يوما لكل منهم بسبب رفضهم الامتثال لطلبات الاستدعاء.

وكانت الدوائر العسكرية والسياسية الرسمية وصفت الراضين بـ"المتمردين"، وتعهدت العمل على محاصرة هذه الظاهرة وغضب المشاركين فيها. ورفع المظاهرون شعارات كتب عليها "رئيس الازكان اعمى"، وسنواصل نضالنا ضد العمل في المناطق الفلسطينية". وشكلت المظاهران استعراضا لقوة الحركة وتماسكها، بعد ان نجح اعضاؤها قبل ذلك في تنظيم اول اجتماع عام لهم بمشاركة ١٣٠ ضابطا وجنديا، شكلوا في ذلك الوقت اكثر من نصف عدد الموقعين على العريضة. وارتفع عدد الموقعين على العريضة الى اكثر من ٣١٥ ضابطاً وجندياً عند منتصف الشهر الجاري، ومثل ذلك ردا على ادعاءات رئيس الازكان، الجنرال شاؤول موفان، الذي قال ان بين الموقعين من غرر بهم ولا يدركون خطورة ما اقدموا عليه، ثم عدل الى اتهام جهات سياسية لم يسمها بالوقوف خلف التمرد، وتوعد بالتحقيق معهم فردا فردا للكشف عن خلفية تحركهم.

وشكل الحكم على الراضين بالسجن اول صدام عملي بينهم وبين قيادة الجيش، واختبارا لجديتهم في المضي بتحركهم حتى النهاية. وقال الناطق باسم حركة الراضين، عميت مشيح، ان المعتقلين هم الرقيب اول عميت غال (٣١ عاما) من سلاح المظليين، وهو اب لطفل في الرابعة من عمره، والملازم شارون سمبلا (٣٠ عاما) من لواء غولاني، وهو اب لطفلة في الشهر الرابع من عمرها، بينما فضل السجن الثالث عدم نشر اسمه. ونقل عن المعتقلين قولهم انهم يوافقون على الخدمة العسكرية داخل حدود "الخط الاخضر". وازدادت نسبة من تصريجات لصحيفة "معريف": "نحن مصممون على مواصلة نضالنا وسننظم المزيد من التظاهرات". وازداد ان هدف الحملة الوصول الى جمع ٩٠٠ توقيع خلال الاسابيع القادمة. وفي خطوة مساندة، تظاهر العشرات من انصار اليسار الاسرائيلي وحركة "يوجد حدود" امام قاعدة لسلاح الجو الاسرائيلي في حيفا، حيث يحتجز الضابط حاغاي ريغف، الذي حكم بالسجن لاربعة عشر يوما لذات الاسباب. وقال شولتي ريغف، والد الجندي المعتقل: لو كان لدينا ألف واحد من هؤلاء الراضين لتغيرت الصورة في البلاد تماما، وازداد: ان الراضين يدفعون ثمن مواقفهم المبدئية، وبذلك فهم يمثلون قوة اهم بكثير من اولئك الذين يكتفون بحديث الصالونات.

وفي محاولة من قيادة الجيش ووزارة الدفاع الاسرائيلية لخنق الظاهرة وتجاهلها، قررت الدوائر العسكرية المسؤولة مؤخرا التوقف عن اطلاق التصريحات بشأن ظاهرة رفض الخدمة، والافتقار بمعالجتها في اطار الوحدات العسكرية، لكن رئيس الوزراء اريئيل شارون واصل التعبير عن ضيقه وغبه من ظاهرة رفض الخدمة، وقال ان كل مظهر من مظاهر الضغط في المجتمع الاسرائيلي يصب في خدمة ما اسماه معركة الارهاب الفلسطيني. كما شن وزير الدفاع، بنيامين بين البعيزر، هجوما عنيفا ومباشرا على الراضين اثناء اجتماع لقدامى المحاربين في الجيش الاسرائيلي. ■

### واخيرا، وزارة المالية الاسرائيلية تعترف بالحقائق...

### خمسة مليارات دولار خسائر الاقتصاد الاسرائيلي

### من الانتفاضة

في ضوء توالي الانتقادات لسياسة حكومة شارون الاقتصادية وانعكاساتها المدمرة على حال الاقتصاد الاسرائيلي وعلى شعبية الحكومة وثقة الجمهور بها، عقد كبار مسؤولي وزارة المالية الاسرائيلية اجتماعا استثنائيا لبحث اجراء التقليلات الضرورية في موازنة الدولة للعام الجاري. وجاء الاجتماع بدعوة من وزير المالية سيفان شالوم، بالتشاور مع رئيس الوزراء اريئيل شارون، على اثر ارتفاع اصوات المسؤولين في الوزارة ومصرف اسرائيل المركزي والعديد من الخبراء والمحللين الاقتصاديين، وكلها تحذر من خطورة المضي في الموازنة الحالية التي اقترتها الكنيست، بعد تراجع الحكومة تحت ضغوط الكتل الحزبية عن خطة التقليلات التي كان منويا اجراؤها لانقاذ الاقتصاد الاسرائيلي. وكان مقرورا عقد الجلسة سرا، لكن موضوعها تسرب للصحافة، مما حدا بمسؤولي وزارة المالية اقتراح تقديم تقرير موجز وغامض عن وجهة التقليلات.

وكما توقع المحللون، سيطر موضوع الخسائر الناجمة عن الانتفاضة الفلسطينية على جدول اعمال الاجتماع المذكور، بعد ان دلت تقديرات المسؤولين على ان الخسائر المباشرة وغير المباشرة للانتفاضة كلفت الاقتصاد الاسرائيلي اكثر من ٥ مليارات دولار، وهو ما اعلنه الوزير شالوم اخيرا وبدا مفاجئا للمراقبين. ودعا الوزير الى اتخاذ خطوات حاسمة لانقاذ الاقتصاد الاسرائيلي قبل قوات الاوان. وشكل ذلك اول اعتراف من المسؤولين الاسرائيليين بحجم الخسائر الحقيقي، حيث تحدثت التقديرات المعلنة قبل ذلك عن قرابة نصف هذه الخسائر، وكانت ترى ان مجموع الخسائر الناجمة عن الانتفاضة، اضافة الى تلك الناجمة عن أزمة الاقتصاد العالمي وصناعات التقنيات العالية، يصل بالكاد الى ما اعلن مؤخرا عن حجم خسائر الانتفاضة وحدها.

واستعرض مسؤولو الوزارة توقعات اكثر تشاؤما لنمو الاقتصاد الاسرائيلي خلال العام الحالي، والتي لا تزيد عن نسبة ٠,٥ في المئة. وكان خبراء الوزارة توقعوا قبل اشهر نسبة نمو تصل الى ٤ في المئة، لكنهم خفضوا توقعاتهم الى نسبة ٢ في المئة قبل شهرين، اثناء النقاشات التمهيدية لقرار الموازنة. في حين ان محافظ بنك اسرائيل المركزي، دافيد كلاين، توقع الا تزيد نسبة النمو للعام الحالي عن الصفر. وكان الاقتصاد الاسرائيلي شهد تراجعا خلال العام الماضي وسجل نموا سالباً بنسبة ٠,٥ في المئة. وسيجاوز العجز في الموازنة نسبة ٣ في المئة.

كما احتلت مشكلة البطالة مكانا في نقاشات المسؤولين. اذ عرض كل من اوهيد ميراني، مدير عام المالية، وميخائيل شرنيل، مدير شعبة البحوث الاقتصادية في الوزارة، توقعاتهما الكئيبة لارتفاع نسبة البطالة، والتي بلغت نهاية العام الماضي نسبة ١٠,٢ في المئة، وتوقعا لها ان تزداد الى ١١ في المئة، اي اكثر من ٢٨٠ الف عاطل عن العمل، اذا لم تتخذ الحكومة اجراءات حاسمة لمعالجة المشكلة، التي يرافقها استمرار ارتفاع اعداد العمال الاجانب في اسرائيل. ونفى وزير المالية عزمه اجراء تقليص بحجم ٥ مليار شيكل (١,٢ مليار دولار). لكن المراقبين يرون ان مثل هذا التقليص بات خيارا اجباريا. لكن الحكومة تحجم عن اتخاذ خطوات مباشرة خشية اغضاب اعضاء الائتلاف الحكومي. وقد تضطر الحكومة الى اتخاذ اجراءات ملقوية لتحقيق التقليص المذكور بغية الحفاظ على نسبة عجز "محتملة"، لا تزيد عن نسبة ٣ في المئة من حجم الموازنة البالغ نحو ٢٤٥ مليار شيكل. ■